(٤٧)

الحَفِيظُ ﷻ

جاء في «الصحيحين»: أن عامر بن الطفيل وأربد بن قيس كادَا لرسول الله ﷺ، وسعيَا في قتله؛ فدعا عليهما.

فأما عامر بن الطفيل؛ فأصيب بغدة في نحره، وهو في بيت امرأة من بني سلول، فوثب على فرسه، وأخذ رمحه، وأقبل على فرسه وهو يقول: غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية! فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتًا.

وأما أربد بن قيس؛ فخرج معه جمل يبيعه، فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقةً فأحرقتهما. فمن حفظ رسول الله؟! إنه الله الحافظ.

القائل في كتابه: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[يوسف:٦٤].

ربنا ﷻ يحفظ السماء والأرض وما فيهما، ويدوم بقاؤهما بقدرته؛ فلا يزولان ولا يحيدان، ولا يعجزه حملهما؛ لكمال قدرته وقوته، ألم تسمع قوله ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا

﴿مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[فاطر:٤١].

وربنا ﷻ يحفظ على خلقه ما يعملون من خير وشر، في سر وعلن، وصغير وكبير، قد أحصى أقوالهم، وعلم نياتهم؛ فلا تغيب عنه غائبة، ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٞ ٤﴾[ق:٤].

وهو ﷻ الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطب، ومصارع السوء، جعل له حفظةً من الملائكة هم: المعقبات بأمره، قال ﷻ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد:١١].

❐ وحفظ الله لخلقه نوعان:

عامٌّ، وهو: حفظه لجميع المخلوقات؛ بأن ييسر لها مصالحها، قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾[هود:٥٧].

وحفظٌ خاصٌّ -وهو أشرف النوعين-، وهو: حفظه لأوليائه في مصالح دنياهم، وفي أبدانهم وأولادهم ومالهم، فجعل لهم معقبات تحفظهم، وحفظ لهم دينهم من الشبهات والشهوات، ومن أعدائهم من شياطين الإنس والجن، ثم يتوفاهم على الإيمان.

قال ﷻ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد:١١].

وربنا الذي تكفل بحفظ كتابه العزيز؛ من التحريف والتغيير على

مر العصور والدهور: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[الحجر: ٩].

وحفظ الكعبة من الزوال؛ مع أنه بيت من حجارة في واد غير ذي زرع؛ لتبقى شاهدةً على جليل حفظه وعظيم قدرته وقوته.

❐ يدافع عنك..

يجتمع كفار قريش حول غار فيه رجلان: محمد ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ، يريدون قتلهما، فيتسلل الخوف إلى فؤاد أبي بكر، فينظر إليه صاحبه العظيم ويقول له: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟»[أخرجه البخاري ومسلم]

وَإِذَا العِنَايَةُ لَاحَظَتْكَ عُيُوْنُهَا

نَمْ فَالمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

إنه الحفيظ!...

يكيد الطغاة للأولياء؛ فيحفظ الله أولياءه، فهذا موسى ﷺ يقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾[طه:٤٥-٤٦]؛ فبشره الله، وحفظه، ونصره على عدوه.

فمن الذي ينصر على الأعداء؟ إنه الله الحافظ لأوليائه؛ وإن قل عددهم؛ ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[الأنفال:٦٥]، ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾[آل عمران:١٣٩].

❐ مكافأة ربانية:

يحفظ الحافظ ﷻ ذرية أوليائه؛ سواء في حياتهم أو بعد مماتهم؛ فهذا يعقوب عليه السلام يرد الله إليه حبيبه يوسف بعد سنين طوال، وهو عليه السلام القائل: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾[يوسف:٦٤].

وفي خبر موسى والخضر عليهما السلام عندما أتيا أهل قرية فاستطعما أهلها؛ فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه الخضر عليه السلام: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾[الكهف:٨٢].

يموت الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز عن سبعة من الذكور وسبع من الإناث، ولم يخلف لهم شيئًا إلا الله ﷻ، فيحفظ الله الأولاد، قال العلماء: وكان أبناؤه من أغنى الأغنياء في الناس.

❐ وصية ثمينة:

يوصي النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما: «يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ! احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ!»[حديث صحيح. رواه الترمذي].

ولما قيل لمحب الدين الطبري -وهو إمام شافعي كبير-: "قفزت من

السفينة وأنت شيخ كبير؟ فقال -كلمةً خلدت في التاريخ!-: هذه أعضاء حفظناها في الصغر؛ فحفظها الله لنا في الكبر"؛ ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[يوسف:٦٤].

قال العلماء: احفظ أوامر الله بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها؛ يحفظك في نفسك ودينك ومالك وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله في الدنيا، قال ﷺ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ! احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ!» [حديث صحيح. رواه الترمذي].

وأما في الآخرة؛ فقد بشرهم الله بالفوز العظيم، قال ﷻ: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة:١١٢].

وعلى قدر حفظك لحدود الله يكون قدر الولاية، ويدخل في هذا:

حفظ التوحيد، وحفظ شعائر الدين؛ ولا سيما الصلاة: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[البقرة:٢٣٨]

وحفظ السمع والبصر والفؤاد عن الحرام: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦]، ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[النساء:٣٤].

وحفظ الفرج: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾﴾[المؤمنون:٥].

وحفظ الأيمان: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾[المائدة:٨٩].

صح عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: «اللَّهُمَّ! احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ مِنْ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[حديث صحيح. رواه الترمذي]، وإذا أراد النوم طلب ﷺ من الله الحفظ.

❐ **بشرى..**

إن العبد الصالح إذا استودع الله شيئًا حفظه؛ كما جاء أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة: «أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ الَّذِي لاَ تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»[حديث صحيح. رواه ابن ماجه].

وفي حديث آخر: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ» [حديث صحيح. رواه البيهقي في «السنن الكبرى»].

وما أجمل أن تعوذ أبناءك كما كان النبي ﷺ يفعل؛ كان يعوذ الحسن والحسين ﷺ، وإذا استودعتهم الله فقد استودعتهم للحافظ ﷻ؛ ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾[يوسف:٦٤].

اللهم! إنا نستودعك أنفسنا ووالدينا وأبناءنا وكل نعمة أنعمت بها علينا.